حكايات ألف ليلة

25

حكاية العبد كافور

بقلم: أ. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم: أ. إسماعيل دياب
إشراف: أ. حمدي مصطفى



المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

يُحكَى أَن أحدَ العبيد كانَ مشهوراً بالكذب ، وبرغمِ أنه لم يكُن يكْذبُ إلاَّ كذبةً واحدةً فى العامِ ، إلاَّ أنَّ كذبته كانت تقيمُ الدُّنيا وتُقعدُها ، وكثيراً ما كانت تنتهى بالخرابِ والدَّمارِ على سيِّده وأهلِ بيته وجيرانه ، وربما على البلْدَةِ التى يعيشون فيها .. وكانَ ذلك العبدُ يُدعى (كافور) ..

وبسببِ هذه الصِّفة المدمِّرة لم يكن هذا العبدُ يمكُثُ عند أىِّ واحدٍ يشتريه طويلاً .. فكُلَّما اشتراه أحدٌ تسبَّبَ بكذبه فى وقوعِ مصيبةٍ على رأسه ، فيسرعُ بردِّه إلى النخَّاسِ ـ وهو تاجرُ العبيد ـ الذى اشتراه منه ..

وحتى ذلك النخَّاس لم يسلَم من المصائبِ والنَّوائبِ ، التى كانَ ذلك العبدُ يُوقعُه فيها بكذبه ..

وبسببِ ذلك قرَّر النخَّاسُ أنْ يبيعَ عبدَه (كافور) بأىِّ ثمنٍ ؛ حتى يتخلَّصَ من المصائب التى يجلبُها عليه بكذبه ، فخرجَ به إلى سُوقِ الرَّقيق ، ونادى عليه قائلاً :

ـ من يشترى ذلك العبدَ على عيبه ؟

فتقدَّمَ أحدُ التجارِ من النخَّاسِ وسألهُ قائلاً :

ـ وما هو عيبُ ذلك العبدِ ؟!



فقالَ النخاسُ :

ـ يكذبُ فى كلِّ عامٍ كِذْبَةً واحدةً ..

ويَبْدو أنَّ ذلك التاجِرَ كانَ غريبًا عنِ الْبلد ، ولمْ يكُنْ يعلَمُ شيْئًا عنِ الْمَصائبِ التى تُسبِّبها هذه الْكَذْبةُ الواحِدةُ ، ولذلكَ ضحكَ وقالَ مُستهينًا :

ـ وماذَا تضُرُّ كذْبَةٌ واحِدَةٌ فى الْعامِ ؟! أَنا أَشْتريه ..

وهكَذا اشْترى ذلكَ التاجرُ الْمِسكينُ الْعبدَ الكذَّابَ ، وأخذهُ معهُ إلى بيتِه ، بعدَ قبْضِ النخَّاسِ ثمنهُ ، وكتب

للتَّاجرِ وثيقةَ الْبَيعِ ، والتى نصَّ فيها على أنَّه قدْ باعَ الْعبْدَ بعيبِه ، وأنه خالٍ من ذَنْبِه ..

وكانَ أَولُ شيءٍ فعلَه التاجرُ المخدوعُ ، هو أَنه كَسَا عبْدَه (كافورَ) كِسوةً حسنةً ، وصارَ يصطَحِبُه معَه فى رِحلاتِه التِّجاريَّةِ ..

وكانَ باقيًا على نِهايَة هذه السَّنةِ عدَّةُ أَشْهرٍ ، فَصبرَ العَبْدُ (كافور) حتى انتهتِ السنةُ ـ على مضَضٍ ـ ولم يكْذبْ فيها ؛ لأَنَّه كانَ قدْ كذَبَ كذْبةً فى هذه السنة ..

وحلَّ الْعامُ الْجديدُ ، وكانَ عامَ خيرٍ على الزُّرَّاعِ ، فازْدهَرتِ التجارةُ ، وربِحَ التاجرُ ربحًا كثيرًا ..

وذاتَ يومٍ دعا التَّاجرُ عددًا من أَصْدقائه التُّجارِ إلى وليمةٍ فى بُستانٍ له خارجَ الْبلدةِ ، وأَخذَ معه عبْدَه (كافور) ليقومَ على خدمتِهم ..

جلسَ التاجرُ مع أَصدقائه فى الْبستان يأْكلونَ ويتحدَّثون ، حتى انْتصفَ النَّهارُ ، فاحتاجَ التاجرُ إلى مَزيدٍ من الطَّعامِ لضيوفِه ، فقالَ لعبْدِه (كافور) :

ـ اذْهَبْ إلى الْبيتِ ، واطْلُبْ من سيِّدتك أنْ تُعدَّ مزيدًا



مِنَ الطَّعامِ للْغداءِ ، ثم أَحْضِرْهُ ولا تتأَخَّرْ ..

فقالَ (كافور) :

ـ حاضر يا سيِّدى ..

ركبَ (كافورٌ) جوادَ سَيِّده ، وغادرَ الْبُسْتانَ مُسْرِعًا ،
فى طريقه إلى الْبيتِ ..

وكان (كافور) قد اشْتاقَ للْكذِبِ ، بعْدَ أَنْ مضَتْ سَنَةٌ

كاملةٌ ، على آخر كذْبة كذَبها ، فقال في نفسه :

ـ يبْدو أنَّه قدْ حان الْوقْتُ يا (كافور) لتدُلى بكذْبتك الْجديدة ..

ـ لا بدَّ أنْ أُنفِّذ كذْبتي الآن ، وليكُنْ ما يكونُ ..

وما إنِ اقْترب (كافور) منْ بيْت سيِّده ، حتى شقَّ ثيابه ، وأخذ يبكي ويصرخُ مُستغيثا ، فتجمَّع حوله أهْلُ الحى يسْألونه عما حدث .. وسمعتْ زوْجةُ سيِّده وبناتُه صراخ (كافور) واستغاثته ، فخرجْن مُسْتطْلعات ما يحْدُثُ ، فلما رأيْن عبدهُمْ (كافور) على هذه الْحالة فزعْن ، وسألْنه عمَّا حدث ، فقال وهو مُستمرٌّ في الْبُكاء :

ـ مُصيبةٌ وقعتْ على رءوسنا .. كارثةٌ حلَّتْ علينا ..

لقدْ كان سيِّدى جالسًا مع أصْدقائه بجوار حائط قديم ، فانْهار الْحائطُ ، ووقع عليهم ، فقتلهُمْ جميعًا .. فلمَّا رأيْتُ ما حدث ركبْتُ جواد سيدى ، وأسرعْتُ لأُخبركُمْ ..

فلما سمعت الزَّوْجةُ والبناتُ ذلك الْكلام ، تملكهُنَّ الْفزعُ وسيطر عليهنَّ الْحزْنُ ، وأخذهُنَّ الْبكاءُ والْعويلُ على فقْد أعزِّ الناس بالنِّسْبة لهُنَّ ..



واتَّجـهت الزَّوْجـةُ إلى داخلِ الْبـيت ، فـأَخـذَتْ فى ثوْرةِ حُزْنـها تقْلبُ أَثاثَ الْبيت ومتاعَهُ رأْسًا على عقب .. ويبْدو أنها كـانتْ حـمقاءَ لأَنهـا لمْ تكْتفِ بذلكَ ، لأَنهـا أخـذتْ تُحطِّمُ كلَّ شيْءٍ فى الْبيت ، وتُلْقى به إلَى الشَّارِعِ ..

ويبْدُو أَنَّ شَبابيكَ الْمنْزلَ كانتْ تعُوقُ عملَها التَّدْميرىَّ ؛ ولذلكَ نادتْ (كافُورَ) قائلَةً :

ـ ويْلَكَ يا (كافورُ) تعالَ وساعدْنى فى تحْطيمِ هذه الشَّبابيكِ اللَّعينة ، وتحطيمِ كلِّ شيءٍ فى الْبيتِ ، حزنًا على وفاة سيدكَ . .

فتقدَّمَ (كافورُ) وساعدَها فى تحْطيمِ الشبابيكِ والْبيبانِ ، وحتى السُّقف والْحيطان . .

وهكذا لم تُبْقِ الزوجةُ و (كافورُ) على شيءٍ يصْلحُ للاستعْمالِ فى الْمنزل . . باختصارٍ تحوَّلَ الْمنزلُ إلى خرابٍ . .

ثم غادرت الزوجةُ الْمنزل مع أولادها وبناتها ، وهم يصْرخونَ ويبْكُونَ ، وقالت الزَّوجةُ لـ (كافور) :

ـ سرْ أمامنا أيُّها العبْدُ المشئومُ ، حتى تدُلَّنا على الْمكانِ الذى قُتلَ فيه سيدُك ، فنخرجه من تحت الأنْقاضِ ، ونعمل لهُ جنازةً تليقُ بمقامه الْكريمِ . .

فمشى (كافور) أمامهم راكبًا جوادَ سيِّده ، وهو يبْكى ويصيحُ قائلاً :

ـ وامُصيبتاهُ . . واسيِّداهُ . .

وأخذَ الْجميعُ يبْكونَ مُردِّدينَ خلْفهُ :

ـ وامُصيبتاهُ . . وانكْبتاهُ . .

وخرجَ معهم أهلُ الْحىِّ من الكبارِ والصِّغارِ ، رجالاً ونساءً . .



وهكذا سارَ الْموكبُ الحْزينُ يتقدّمُه (كافور) حتى خرجوا من الْحيِّ، فقالَ أَحدُ الْجيرانِ ناصحًا الزّوْجةَ:

ـ إن ما نفعلُه ليس صوابًا .. يجبُ أَنْ نذْهبَ إلى الْوالى ونُخبرهُ بما حدثَ أوّلاً؛ حتى يرْسلَ معنا فرْقةَ إنقاذ بالْفئوسِ والْمعاولِ، وإلاَّ فلنْ نتمكّنَ من إخراجِ الْجثثِ بمجْهودِنا من تحتِ الأَنقاضِ ..

فاستحسنت الزوجةُ الفكْرَةَ .. وهكذا توجَّه الموكبُ الْحزين إلى دارِ الْوالى .. أَمَّا (كافور) فإنه توجَّه إلى الْبُستان باكيًا صارخًا ممزَّق الثِّياب ..

فلما رآه سيِّده على هذه الحال تملَّكهُ الْفَزعُ ، ونهض مُستفسرا عمَّا حدث ، فقال له (كافور) :

ـ عندما وصلْتُ إلى الْبيتِ وجدْتُه قد انهار على كلِّ من فيه وقتلَهُ ..

فقال التاجرُ فى فزَعٍ :

ـ وهل ماتتْ سيِّدتُك ؟!

فقالَ (كافور) :

ـ ماتتْ سيِّدتى ، وماتَ الأَوْلادُ والْبناتُ ، وكُلُّ منْ فى الْبيتِ ..

فبكَى التاجرِ وقالَ فى حزْنٍ :

ـ وهل ماتت ابنتى الصُّغْرى ؟!

فقالَ (كافور) :

ـ الصغْرى والْكُبرى والْوسْطى .. كلهمْ ماتوا ..

فزادَ بكاءُ التَّاجرِ وقال له :



ـ وبغْلَتي ، هل نَجَتْ ؟!

فقالَ (كافور) :

ـ لقدْ سقطَتْ حيطانُ الْبيت على الْبَغلة والْغَنَمِ والدَّجاجِ ، وكلَّ شيءٍ حيٍّ فَقَتَلَتْهُ .. كلُّهُ ماتَ ..

فلما سمعَ التاجرُ الْمسكينُ كلَّ هذه الأخْبارِ المفجعة ، أظْلَمَت الدنيا في عينيْه ، ولمْ تقْدرْ ساقاهُ على حَمْله ، فسقطَ علَى الأَرضِ وأَخذ يصرخُ مردِّدًا :

ـ وامُصيبتاهُ .. واأَوْلاداهُ .. وازوجتاهُ .. منْ جرى لهُ مثلُ ما جَرَى لِي ؟!

ولما رأى أصدقاءُ التاجرِ ما رأوا ، وسمعوا ما سمعوا من وصف (كافور) للمصائبِ التي وقعت فعلوا مثل ما فعل صديقهم ، وأخذوا يواسونه ..

وبينما الجميعُ على هذه الحال من الحزن ، شاهدوا الموكبَ الحزين تتقدمه الزوجةُ والأولادُ والبناتُ ، وهو يقترب نحو البستان ..

ورأوا زوجةَ التاجرِ وأولادَه وبناته في صراخٍ وعويلٍ ، فلما رآهم التاجرُ أحياء ردّت فيه الروح ، ونهض مستقبلاً إياهم ، فقالت الزوجةُ وأبناؤها وبناتها :

ـ حمداً لله على سلامتك ..

وتعلّق الأولادُ والبناتُ بأبيهم ، غير مصدّقين أنه لم يمت ..

وقال التاجرُ :

ـ الحمدُ لله الذي نجّاكم .. كيف نجوتم من البيت المتهدم ؟!

فتعجّبت الزوجةُ وقالت :

ـ بل كيف نجوت أنت ورفاقُك من الحائط الذي سقط عليكم ؟!



فقالَ التاجِرُ :

ـ منِ الذى أَخْبرَكُمْ بهذهِ الْقِصَّةِ الْـمُلَفَّقَةِ ؟!

فقالتِ الزوْجةُ :

ـ عبدُ السُّوءِ (كافور) ..

فقالَ التاجرُ :

ـ لقدْ أخبرَنا نحنُ أيضًا بما هو أَسْوأُ منْ ذلِكَ ..

ثم الْتفتَ إلى (كافور) قائلاً :

ـ وَيْلَكَ يا عَبْدَ النَحسِ ، يا مَلْعونَ الْجِنْسِ ، كيفَ تَجْرُؤُ على تلْفيقِ كلِّ هذه الْمصائبِ لى ولأهْلى وبيْتى ؟ ! لأَسْلُخَنَّ جِلْدَكَ عن لَحْمِكَ ، ثم أُلْقى بكَ إلى الْكلابِ لتأكُلَكَ ..

فقالَ (كافور) فى تَبَجُّحٍ :

ـ واللَّه يا سيِّدى أَنتَ لا تقْدرُ أَنْ تَمُسَّ شعْرةً منِّى ، ولا تستطيعُ أَنْ تُنفذَ شيْئًا منْ هذا التَّهْديد ..

فتعجبَ جميعُ الْحاضرين ، وقال التاجرُ فى غَيْظٍ :

ـ وما الذى يَمْنَعُنى أَنْ أَفعلَ يا مَلْعونُ ؟ !

فقالَ (كافور) :

ـ لقد اشْتَريْتَنى ، وأَنْتَ تعْلَمُ أَننى أكْذبُ فى كُلِّ سنة كذْبةً ، وهذا الذى فعلْتُه الْيومَ هو مجرَّدُ نصفِ كذْبة ، فإذا اكْتَمَلَت السنةُ كذبْتُ نصْفَها الآخَرَ ، فتكْتملُ كذْبةُ هذا الْعامِ ..

فكادَ التاجرُ يجنُّ من الْغَيْظِ وقال :

ـ يا أَلْعنَ الْعبيد على وجهِ الأرضِ .. هلْ هذه كلُّها مُجرَّدُ نصْفِ كذْبةٍ .. اذْهَبْ عنِّى فقدْ أَعْتَقْتُكَ لوجهِ اللَّه ..

فقالَ (كافور) فى تَحَدٍّ :

ـ إنْ رَضيتَ أَنْتَ أَنْ تعتقَنى ، فأَنا لنْ أَعْتقَكَ ، حتى



تكْتَملَ السَّنَةُ ، فأَكْذب نصْفَ الكذْبة الآخَرَ ، وبعْدَ أنْ أُتمَّها اذْهَبْ بى إلى السُّوق وبعْنى على عيْبِى ، ولكنْ لا تعْتقْنى ؛ لأننى لا أُجيدُ حرْفةً أَتكَسَّبُ منْها . .

فقالَ التاجرُ فى غيظٍ :

ـ إذَنْ سأقْتُلُك . .

فقالَ (كافور) فى تَحدٍّ :

ـ لنْ تستطيعَ لأنَّ الصكَّ الذى اشْتريْتنى به مكتوبٌ فيه هذا الشرْطُ ، وهُناكَ شهودٌ على ذلكَ . .

وهكذا كظَمَ التاجرُ غيْظَهُ وعادَ مع زوجَته وأولاده وبناته إلى البَيتِ ، والعبْدُ (كافور) يسيرُ خلفهم غير عابئٍ بما حدَث ..

فلما رأى التاجرُ المسكينُ ما حَلَّ ببيْته من الخراب والدَّمار ، كاد يموتُ من الغم وقال لزوجته :

- من الذى فعل كلَّ هذا بالْبيت ؟!

فقالت الزوجةُ :

- لَمَّا علمتُ بما حدث لك فعلْتُ ذلك ، وقدْ ساعدنى عبْد السُّوء فى معْظمِ التَّدْمير ..

فقالَ التاجرُ :

- ما رأيتُ عمرى أنْحس من هذا العْبد ، وبرغْمِ كلِّ هذا الدمارِ والخراب فهو مصرٌّ على أنَها نصفُ كذْبة .. ماذا كانَ سيحْدُثُ لوْ أنها كانتْ كذْبةً كاملةً ..

فقالت الزوجةُ :

- لا بُدَّ أنه كانَ سيخربُ مدينةً بكاملها ..

(تمت)

رقم الإيداع : ١٦٠٣٢ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى : X - ٩٨٢ - ٢٦٦ - ٩٧٧